العلاقات المصرية الفلسطينية

فى النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد

للدكتور خالد طه الدسوقى
مدرس تاريخ مصر والشرق القديم
كلية البنات — جامعة عين شمس

لقد بدأت الأضواء تسلط من جديد على العلاقات بين مصر وفلسطين منذ أواخر الأسرة الحادية والعشرين وبالتحديد فى عهد الملك أمنموبى (حوالى ٩٩٣ — ٩٨٤ ق.م) رابع ملوك هذه الأسرة(١) بعد أن خيم الظلام عليها قرابة قرن ونصف من الزمان . وبينما لاتعطينا المصادر المصرية الكثير عن نوع العلاقات التى سادت فى ذلك الوقت بين فراعنة مصر وحكام فلسطين ، تمدنا المصادر الأخرى بمعلومات توضح نوع هذه العلاقات وتحددها . ففى حوالى عام ١٠٤٠ق.م أى فى أوائل حكم بسوسنيس الأول (حوالى ١٠٢٩ — ٩٩١ ق.م .) ثانى ملوك الأسرة الحادية والعشرين بدأ الموقف السياسى فى فلسطين يتبلور متخذاً شكلا محدداً . فبينما سيطر الفلسطينيون(٢) والزيكـّالو(٣) على المدن والموانى الساحلية ، كانت المملكة العبرية وعلى رأسها الملك شاؤول تكافح من أجل وجودها ضد هجمات الفلسطينيين وبقايا الدويلات الكنعانية(٤) وفى حوالى عام ١٠٠٠ ق.م. أصبح داود

حاكما على كل القبائل العبرية وملكا على إسرائيل ويهوذا ، فى الوقت الذى استولى فيه على بيت المقدس التى اتخذها عاصمته السياسية والدينية . بعد ذلك استطاع داود السيطرة على الطرق التجارية التى تربط فلسطين بسوريا والساحل الفينيقى وشبه الجزيرة العربية ومصر محققا لمملكته ثروة كبيرة ، علاوة على الجزية التى فرضها على الدويلات المتاخمة لمملكته مثل مؤاب وعمون وادوم ، وآرام — زوباه وآرام — دمشق . كما استطاع احتواء الفلسطينيين بعد عدد من الحملات التى شنها عليهم(٥) . وهكذا تكونت فى فلسطين مملكة قوية متحدة بعد أن ظلت لعدة قرون قسمة بين دويلات صغيرة متنازعة ، ولم يحدث أبدا منذ القرن السابع عشر قبل الميلاد حينما كانت حازور(٦) — فى شمال فلسطين — تسيطر على اتحاد كبير من الدويلات ، أن قامت على حدود مصر الشمالية قوة كبيرة بدأت تعمل لها حسابا .

فى خلال النصف الأول من حكم الملك داود استطاعت قواته فتح آدوم وذلك بغرض السيطرة على الطريق التجارى الذى يصل ما بين شبه الجزيرة العربية ودمشق ولم يجد أميرها الصغير هداد إلا الفرار إلى مصر مع بعض خلصائه حيث اعطاه فرعون « منزلا وطعاما وأرضا »(٧) . لقد كانت هذه الأرض التى خصصت لهداد بمثابة إقطاعه الخاص الذى يمده بدخل منتظم(٨) . وحينما شب الأمير الصغير عن الطوق وصار يافعا ، نال إعجاب فرعون الذى لم يتردد فى مصاهرته وذلك بالموافقة على زواجه من شقيقة ملكة مصر تحفنيس(٩) . وأنجب هداد ابنا أسماه جنويث الذى يحتمل أن فطامه بدأ عندما بلغ الثالثة من عمره(١٠) . ثم اتخذ مكانه « بين بنى فرعون »(١١) وبموت داود رجع هداد وأعوانه إلى آدوم للوقوف فى وجه الحكم الاسرائيلى واسترجاع مملكته على غير رغبة فرعون . فلو فرضنا أن جنويث كان فى ذلك الوقت فى الخامسة من عمره (أى حوالى عام ٩٧٠ق.م.) وكان قد رأى النور حينما كان هداد فى الثامنة عشرة من عمره ، وإذا افترضنا

أيضا أن هداد حضر إلى مصر وهو فى سن الثانية أو الثالثة فيكون الوقت الذى جاء فيه إلى مصر حوالى عام ٩٩١ أو ٩٩٠ ق.م.(١٢) . وبذلك يكون أمنموبى هو فرعون مصر الذى استضاف هداد وخصص له أرضا وبينما تزوج وانجب ولده فى أوائل حكم سيامون (حوالى ٩٧٨ - ٩٥٩ ق.م) وهكذا تمسك أصابعنا بأول خيط للعلاقات الودية بين البلاط المصرى فى تانيس وامراء فلسطين(١٣) .

لقد اتبعت مصر أيام الدولة الحديثة سياسة الردع بقوة السلاح ضد كل من سولت له نفسه تهديد مصالحها فى آسيا(١٤) ، ولكن يبدو أن سياسة جديدة قد بدأت تظهر فى أفق العلاقات المصرية الفلسطينية ببداية الأسرة الواحدة والعشرين . لقد تركت سياسة القوة والبطش جانباً لتخلى السبيل لسياسة «الوفاق» بين فرعون ومراكز القوة فى فلسطين فى ذلك الزمان. فها هو أمنموبى قد رحب بالأمير هداد الذى رباه فى قصره وزوجه من شقيقة ملكة مصر وحينما فكر هذا الأمير فى العودة إلى فلسطين لاسترجاع ملكه أثناه فرعون عن عزمه(١٥) حتى لا يفسد مابينه وبين سليمان خليفة داود على عرش المملكة العبرية ويحافظ على سياسة «الوفاق» بين القوتين الكبيرتين . لقد قامت هذه السياسة نتيجة للظروف السياسية التى سادت مناخ الشرق القديم فى ذلك الوقت . لقد واجهت مملكة داود منذ قيامها قوتين معاديتين هما قبائل الشاسو القاطنين شرق الأردن والفلسطينيين الذين كانوا يتمركزون فى الشريط الساحلى بين غزة جنوبا ويافا شمالا والذى كان يسمى فلسطيا . وفى نفس الوقت كانت هاتان القوتان أعداء لمصر . فلقد كان الشاسو يعملون من خلال غاراتهم المستمرة عبر الصحراء العربية وصحراء النقب على قطع الطريق التجارى الذى يصل مابين مصر وسوريا الأمر الذى لم يجد ارتياحا عند فراعنة مصر(١٦) . لذلك لابد أن فرحة المصريين كانت كبيرة عندما أهلك يواب رئيس جيش الملك داود أعدادا كبيرة من المؤابين والادوميين(١٧) لأنهم وجدوا فى عمله هذا حلا لمشكلة أقلقتهم زمنا ليس بقصير . علاوة على

ذلك فقد عمل الفلسطينيون ، بعد أن سمح لهم المصريون بالاقامة فى السهل الساحلى على توسيع حدودهم حتى وادى الأردن شرقا(١٨) ، الأمر الذى ازعج كلا من مصر والمملكة العبرية لأنهما وجدا فيه تهديدا مباشراً للطرق التجارية التى كانت تصل مابين مصر وسوريا وفينقيا عبر فلسطين . لم يقف داود مكتوف الأيدى ازاء هذا الخطر الجديد ، بل نراه وقد كبح جماحهم وأجبرهم على منحه حق الاشراف على طرق القوافل المارة فى أرضهم علاوة على نصيب من مكوس الطريق(١٩) .

ومصر أيضا حاربت الفلسطينيين فى عقر دارهم . إذ قد عثر بين مخلفات الفراعنه فى تانيس على نقش بارز على جدران مبنى شيده بسوسنيس الأول وسيامون جنوب معبد آمون الرئيسى(٢٠) . ويصور هذا النقش سيامون وهو يضرب عدواً راكعاً أمامه وقابضاً فى يده على فأس للحرب مزدوجة من النوع الذى كان يتخذه الايجيون فى أسلحة الحرب . وإن دل هذا النقش على شىء فيدل على أن سيامون قاد حملة ضـــد الفلسطينيين وشعوب البحر المتوسط فى جنوب غرب كنعان . وهناك مايدل على أن سيامون أرسل جيوشه إلى الجنوب الغربى من فلسطين لمحاربة جيرانه الفلسطينيين ووصلت حتى جزر أحد المراكز الكنعانية التى تقع على الحدود بين فلسطيا وإسرائيل . وفى ذلك يقص علينا سفر الملوك(٢١) أن فرعون مصر استولى على جزر ودمرها وأخلى سكانها قبل أن يعطيها بائنه لسليمان الذى تزوج ابنته . وأن هذا الحادث الأخير لابد أنه وقع أوائل حكم سليمان وأن الاستيلاء على جزر لابد أنه وقع قبل منحها بائنة له ، أى فى العشر سنوات الأولى من حكمه (حوالى ٩٧٠ — ٩٦٠ ق.م.) وهناك احتمال كبير أن يكون ذلك قد تم فى الأربع سنوات الأولى من حكمه (حوالى ٩٧٠ — ٩٦٦ ق.م.)(٢٢) وهذا يضع كلا من غزو مصر لجزر (وفلسطيا) والصلة بسليمان فى العقد الأخير من حكم سيامون (حوالى ٩٧٨ — ٩٥٩ ق.م.) ويجعله الفرعون الذى قام

بعملية الغزو(٢٣) . علاوة على ذلك فحوالى منتصف القرن العاشر كان من ضمن الهبات الجنازية لمعبد أبيدرس أسرى حرب من أصل فلسطينى(٢٤)، كما حمل بسوسنيس الثانى آخر ملوك هذه الأسرة لقب « قائد ... على رأس الجيوش(٢٥) » ، مما يوحى بأنه سار على سنة أسلافه فى اخضاع الفلسطينيين وكسر شوكتهم .

إن وجود هذا الخطر المشترك الممثل فى قبائل الشاسو الفلسطينيين حتم ضرورة التقارب والتفاهم بين مصر والمملكة العبرية وجعل سياسة الوفاق أمرا لا مفر منه . ولعل الخوف من تهديد الطرق التجارية وتوقف انسياب المواد التجارية هو الذى أوحى إلى كل من مصر وجارتها الشمالية إلى تفضيل سبيل المهادنة عن سبيل المواجهة . وهناك احتمال كبير أن تكون دوافع حملة سيامون ضد جزر اقتصادية أكثر منها سياسية . فمنذ أيام سمندس و« عصر النهضة » أصبحت تانيس مدينة تجارية مرتبطة بموانى شرق البحر المتوسط وحلت محل بى — رمسيس فى هذا المضمار، كما يتجلى ذلك من قصة وينامون. لذلك فقد يكون من أغراض حملة سيامون القضاء على منافسة نشاط الفلسطينيين التجارى(٢٦) الذى كان يواجه منافسة النشاط الفينيقى المتصاعد. ولقد كانت جزر قلعة فلسطيا التى تقع فى أقصى الشمال الشرقى وإلى يمين حدودها مع إسرائيل . ولقد كان وصول الجيش المصرى على حدود إسرائيل أمرا قد يؤدى إلى المواجهة بين قوات سليمان وقوات سيامون . ولكن يبدو أن كلا الملكين وجدا أن من المصلحة المشتركة أن يكونا حليفين .

ويرى Malamat أن سيامون كان ينوى غزو اسرائيل لولا أنه روع بقوة سليمان ، الأمر الذى جعله يتساهل فى اعطائه مساحات كبيرة من أراضى فلسطيا(٢٧) ولكن هذا الرأى لا يدعمه دليل حاسم . ولم يكن تنازل فرعون عن جزر لسليمان نوعا من الاستضعاف

كما رأى البعض(٢٨) ولكنه كان بمثابة نقل ملكية عقار العروس إلى زوجها. إذ أن هناك احتمال كبير فى أن سيامون قد أغدق على إبنته مساحات كبيرة من الأراضى فى المناطق المفتوحة فى فلسطيا(٢٩) . ولم تكن جزر التى تقع فى أقصى الحدود الشمالية الشرقية لمصر ذات أهمية خاصـــة لسيامون ولكنها كانت حيوية بالنسبة لسليمان ولذلك كان منحها له . ولقد حققت مصر وسليمان من هـــذا التقارب الذى قويت أواصره بالمصاهرة أهدافاً هامة ، منها القضاء على فلسطيا كقوة حربية وكمنافس تجارى بينما ساد المنطقة جو من الأمان والهدوء ساعد على تأمين الطرق التجارية وانتعاش الحياة الاقتصادية فى ربوع البلدين .

ولا يمكن إغفال عامل آخر جعل من سياسة الوفاق ضرورة لكلا البلدين . لقد التقت سبل المصالح الاقتصادية لكلا البلدين عند الساحل الفينيقى الذى كان خشب الأرز أهم صادراته اليهما . ولا ننسى العلاقات الودية التى كانت بين داود وبين ملك صور ، المدينة الرئيسية فى فينيقيا فى ذلك الوقت(٣٠) ، كما استمرت هذه العلاقات أيضاً فى أيام سليمان التى شهدت مقدم بحارة حيرام حاكم صـــور حاملين الأخشاب اللازمة لمعبد الإله(٣١) . ولقد كان من السياسة الحكيمة الإبقاء على الصلات الودية مع مدن الساحل الفينيقى حيث نهاية الطريق التجارى الذى يبدأ من الجنوب إلى الشمال ماراً بغزة . ولعل استمرار تحصيل المكوس على طول هذا الطريق من جانب المملكة العبرية بعد الانتصار على الفلسطينيين حتم على داود ومن بعده سليمان العمل على استمرار سريان هذا الطريق شمالا فى الأراضى الفينيقية . وباستثناء الفلسطينيين انحصر نشاط داود الحربى ضد الدويلات التى تقع فى داخل سوريا(٣٢) ، الأمر الذى كان يرتاح إليه المصريون الذين كانوا يسعون لكسب صـــداقة الجيوب الكنعانية على الساحل الفينيقى منذ الألف الثالث ق . م . ، خاصة تلك التى تحيط

ببلوس التى كانت تسيطر على المنطقة المنتجة لخشب الأرز(٣٣) . إن العلاقات القديمة بين ببلوس والمصريين أدت إلى تسرب الثقافة والعادات المصرية إلى الشاطىء الفينيقى . وإن مد داود وابنه سليمان يدهما لكسب صداقة مدن الساحـــل الفينيقى قد قوبل بالتأكيد بروح الرضا من جانب المصريين الذين اعتبروا ذلك احتراماً لمنطقة لها فى نفوسهم تقدير وتقديس منذ زمن بعيد(٣٤) .

إن الخوف من خطر مشترك كان يهدد المصالح الاقتصادية لكل من مصر والمملكة العبرية والتقاء هذه المصالح عند منبع واحد حرص الجانبان على إبقائه ينبوعاً متدفقاً بالخير والنفع المشترك ، خلقاً نوعاً من التقارب والوفاق بين مصر والمملكة العبرية ، توجا آخر الأمر بمصاهرة سليمان لفرعون مصر سيامون(٣٥) . ولقد استفادت إسرائيل كثيراً من وراء ارتباطها بمصر فبجانب استيرادها العجلات الحربية من مصر خاصة فى عهد سليمان(٣٦) ، فقد قلدت أنماط الوظائف التى سادت فى البلاط الإسرائيلى أيام حكم داود وسليمان منها ، مثل وظيفة « المازكير » أى « المذكر » التى كانت تقابل وظيفة « وحمو » المصرية والتى تعنى « المقرر » ومثل وظيفة « سوبير » أى « الكاتب » التى تقابل وظيفة « سش » المصرية والتى تعنى « كاتب » أيضاً . ثم هناك أيضاً وظيفة « صاحب الملك » التى تقابل الوظيفة المصرية « سمروعتى » والتى تعنى « السمير الوحيد » وهو منصب كان شائعاً فى البلاط الفرعونى . كما كان هناك أيضاً وظائف أخرى لها أشباهها فى الهيكل الوظيفى المصرى مثل منصب « رئيس الجنود المرتزقة » و « المشرف على السخرة » . وإن العبارات المتفرقة التى تصف حريم الملك داود وتذكر المغنيين والمغنيات فى البلاط الملكى تشير أيضاً إلى نوع من الاقتباس عن البلاط الفرعونى(٣٧) . لقد قيل أن عرش سليمان المصنوع من الذهب والعاج والذى كان يوضع فى حجرة استقبال الملك ، تميزت

فى صناعته بعض التأثيرات الفنية المصرية كالإسراف فى استخدام الذهب الذى يمكن ملاحظته بسهولة فى كرسى توت - عنخ - آمون(٣٨) .

بوفاة بسوسينس الثانى ، آخر فراعنة الأسرة الواحدة والعشرين ، تربع على عرش مصر فرعون من أسرة جديدة بل من جنس آخر . فقد كان شوشنق الأول مؤسس الأسرة الثانية والعشرين (حوالى ٩٤٥ - ٩٢٤ ق . م .) ليبيا من قبيلة المشوش المحاربة(٣٩) ، التى حاولت منذ قرنين من الزمان غزو مصر بقوة السلاح . وبالرغم من هزيمتهم على الأقل ثلاث مرات فى المعركة ، فقد استطاع المشوش أن يثبتوا للمصريين أنهم جنود أقوياء الشكيمة . وفى غضون قرن من الزمان بدأوا يتسللون سلمياً داخل البلاد ويملأون المناصب داخل الجيش(٤٠) . وقد جاء أيضاً إلى مصر رئيس المشوش(٤١) ، وفى نهاية الأسرة الواحدة والعشرين ، استطاع هـذا الزعيم الأجنبى السيطرة على القوات المسلحة المصرية وأخيراً تولى عرش البلاد . ومنذ البداية أصبح سلطان شوشنق معترفاً به فى تانيس ومنف بفضل روابطه مع الأسرة السابقة ومع كبار كهنة بتاح فى منف ، وأخيراً اعترفت به طيبة رسمياً كفرعون على البلاد(٤٢) . واضمان بقاء منطقة طيبة موالية له ، نراه قد عين أفراداً من الأسرة المالكة فى المناصب القيادية فى كهنوت طيبة وخاصة منصب كبير كهنة آمون الذى حمل فى نفس الوقت لقب « قائد جيش الجنوب »(٤٣) . علاوة على ذلك فقد حرص شوشنق الأول على ألا يترك السلطة الفعلية جنوب منف فى يد رجل واحد ، لذلك عين أحد أبنائه « قائداً لكل الجيش » وجعل مركزه مدينة هيراقليوبوليس على مقربة من الفيوم(٤٤) .

وهكذا استطاع شوشنق الأول أن يوطد مركزه فى مصر كلها ويضمن ولاء الأسر القديمة بل وينشر السلام فى ربوع البلاد وبذلك

تهيأت له الفرصة لأن يتطلع إلى الخارج ليحقق أطماعه فى الشمال والجنوب .

لم يحاول شوشنق الأول الدخول فى صراع مع مملكة سليمان (حوالى ٩٧٠ — ٩٣٠ ق . م .) التى كانت تسيطر فى ذلك الوقت على سوريا وفلسطين ، ولكنه فى نفس الوقت كان ينظر إليها كمنافس خطير وكعائق أمام تحقيق أطماعه السياسية والاقتصادية وبدأ يتحين الفرصة للعمل . وقد واتته حينما انشطرت مملكة سليمان بعد وفاته إلى قسمين مستقلين . وقصة ذلك أنه بعد السنة الرابعة والعشرين من حكم سليمان (بعد عام ٩٤٥ ق . م .) نودى بيروبعام ابن نبات الذى كان سليمان قد عينه مشرفاً على الأعمال فى الشمال ، ملكا على معظم إسرائيل ولكنه هرب خوفاً من بطش سليمان ويمم شطر مصر(٤٥) . استقبل شوشنق الأول يروبعام ومنحه الأمان والحماية وبهذا فقد ساعد على إقامة « حكومة إسرائيلية فى المنفى » كان عليها أن تنتظر حتى تسنح الفرصة وتعود إلى فلسطين . وبوفاة سليمان (حوالى ٩٣٠ ق. م.) استدعى يروبعام إلى فلسطين من جانب أنصاره الذين أخذوا يناصبون رحبوعام بن سليمان العداء . وهكذا انقسمت المملكة العبرية إلى قسمين متعاديين ، مملكة يهوذا التى تركزت حول بيت المقدس ومملكة إسرائيل التى اتخذت شكم عاصمة لها فى بداية الأمر(٤٦) .

هناك احتمال كبير فى أن يكون الترحيب الذى أبداه شوشنق ليروبعام حينما التجأ إلى مصر قد أحقد عليه قلب سليمان ومن بعده إبنه رحبوعام الذى أخذ يفكر فى الانتقام . وربما أخذ رحبوعام يحرض القبائل الرعوية التى كانت تقطن الصحراء الفاصلة بين مصر وفلسطين على التوغل فى شرق الدلتا ، الأمر الذى أدى إلى أن يرسل شوشنق الأول حملته لغزو فلسطين. ويجب ألا نغفل النزعة العسكرية التى كانت تسرى فى عروق هذا الأجنبى

الذى كان يوماً ما رئيساً لقبيلة المشوش المحاربة . ولأنه كان أجنبياً ، لم يحافظ هذا الفرعون على الصداقة القديمة التى أرسى أسسها ملوك الأسرة الحادية والعشرين بين مصر وجارتها الشمالية فلسطين .

لقد كانت حملة شوشنق الأول ضد فلسطين فى السنوات الأخيرة من حكمه(٤٧) ، ويحتمل أن الحـــرب بدأت بمناوشات بين الجانبين عند البحيرات المرة ، أعقبها هجوم عنيف من جانب الجيش المصرى . ويقص لنا شاهد الكرنك(٤٨) طرفا من هـذه المناوشات المبدئية عند البحيرات المرة قائلا : « الآن وجد [ج]لالتى أن[هم] يقتلون . . [جنودى ؟ و]قواد جيشى . وقلق جلالته من أجلهم . . . . [وفعل ؟ كما] يحبون . ثم قال جلالته لحاشيته [ما يلى] : [انظروا . . . .] هذه الأعمال الشريرة التى اقترفوها ! . ثم أجابوا [لجلالته ، . . .] [ثم تقدم جلالته . . .] ، وفى صحبته مركباته الحربية بدون أن يعلم (أى العدو) (ذلك) . انظر . . لقد أقام جلالته مذبحة بينهم . . . [ذبح]هم على الشاطىء ، طرف البحيرات المرة (كم و .) . إنه والده [آمـــون الذى كتب له النصر . . .] » . إن عبارة « هذه الأعمال الشريرة التى اقترفوها » تشير إلى أن الملك كان قد تلقى معلومات عن الاضطرابات التى حدثت ما وراء الحدود .

وبعد ذلك واصل شوشنق وقواته عبر الحدود المصرية وتوغلوا فى مملكتى يهوذا وإسرائيل فى ربيع وصيف عام ٩٢٥ ق . م . حتى أنه « فى السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شوشنق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب وخزائن بيت الملك وأخذ كل شىء وأخذ جميع أتراس (دروع) الذهب التى عملها سليمان »(٤٩) وأتى ومعه(٥٠) « ألف ومئتين مركبة وستين ألف فارس ولم يكن عدد للشعب الذين جاءوا معه من مصر ، لوبيين(٥١) وسكيين(٥٢) وكوشيين(٥٣) وأخذ المدن الحصينة التى ليهوذا

وأتى إلى أورشليم » . إن خط سير حملة شوشنق ليس معروفاً لدينا بصفة مؤكدة وبصورة تفصيلية ، ومن المصادر الأثرية والكتب الدينية نعرف أن هذه الحملة وجهت ضد كل من يهودا وإسرائيل كما يمكن إعطاء صورة تقريبية لخط سير الحملة كما يلى(٥٤) : عند غزة ، أرسل شوشنق « قوات خاصة » عن طريق « يورزا(٥٥) وشاروهين(٥٦) إلى منطقة النقب جنوب يهوذا وسيمون . وبعد شاروهين ، يحتمل أن تكون القوة الرئيسية قد انقسمت إلى أربعة فرق ، ربما سارت إحداها إلى طريق قلعة فتيس(٥٧) ثم شرقاً وشمالا فى حبرون جنوب يهوذا وسيمون وهاجمت قلعة الجاد(٥٨) وتابوا [ح](٥٩) وبيت عنات(٦٠) واشنا(٦١) . أما الفرقة الثانية فربما سارت شرقاً إلى بير سبع ومنها إلى قلاع « أراد الكبير »(٦٢) وأراد بيت يروحام(٦٣) وأراضى شرق النقب الخاصة بالكينيين والشوحائيين(٦٤) . ثم أغارت فرقة ثالثة على أزم(٦٥) وربما يروحام الجنوبية(٦٦) . وربما تكون هذه القوات الخاصة، قد وصلت إلى أزيون - جبر(٦٧) التى تقع على بعد مائة ميل جنوب البحر الميت على خليج العقبة ، ولكن المسافة الطويلة ووعورة الطريق يجعل هذا أمراً بعيد الاحتمال .

وفى هذه الأثناء واصل شوشنق على رأس الجيش الرئيسى السير فى إتجاه الشمال الشرقى على طول حدود فلسطيا ويهوذا وتوغل فى الداخل حتى وصل أولا ما كيزاه وروبوتى (٦٨) . وبهذا بدأ هجومه على « مدن يهوذا الحصينة» . ثم سار عبر التلال مارا بعجلون وبيت حورون إلى جيبون وكلها تقع على طريق معروف يصل إلى التلال على حدود يهوذا الشمالية على مسافة من بيت المقدس . وهنا انتظر شوشنق بقواته الكبيرة قرار رحبعام إما الإستسلام أو الحرب فى الوقت الذى نصح فيه النبى شمعيا بالتسليم «فتذللوا

فلا أهلكهم بل أعطيهم قليلا من النجاة ولا ينصب غضبي على أورشليم بيد شيشق، لكنهم يكونون له عبيداً ويعملون خدمتي وخدمة ممالك الأراضي.(٦٩)

وأخيراً دفع رحبعام جزية كبيرة عبارة عن كنوز المعبد والقصر الخاصين بداود وسليمان في بيت المقدس ، ثم انسحب شوشنق شمالا حاملا أسلابه . لم تفتح بيت المقدس لأنها لم تذكر في قائمة المدن التي غزاها هذا الفرعون .

وانطلاقا من هذا الإنتصار، تحرك شوشنق شمالا في إسرائيل عن طريق زمرايم (٧٠) إلى شكم وتيرزا . لقد فضل يربعام الفرار شرقاً حيث نزل وادي الفرعا وعبر نهر الأردن ثم صعد وادي اليابوك حتى وصل إلى بنول ومحانايم . (١٧) لم يصمم فرعون على تعقب عـــدوه ، بل آثر السير تجاه الشمال الغربي ، بينما أرسل فرقة ثانية من « قواته الخاصة » عبرت الأردن عند مخاضه أداماه (٧٢) ثم واصلت السير حتى سكوث لتلحق بيربعام عند بنول ومحانايم . وبعد أن حققت هذه القوات أهدافها ، ربما عادت إلى نهر الأردن أو سارت شرق ماناسه ثم إلى الأردن ومنه إلى رحوب وهافارايم وخاصة بيت — شان حيث انضم اليها فرق أخرى كانت قد أخضعت في نفس الوقت تاعاناش وشونم (٧٣) ، بينما قام شوشنق نفسه بعمليات أخرى من مجدو .

ومن تيرزا يحتمل أن يكون شوشنق قد واصل السير مباشرة إلى شمال إسرائيل حتى وصل إلى وادي يزريل « العاموق » ثم إلى مجدو . وهناك انتظر عودة فرقة قواته الخاصة المنتصرة من شرق الأردن التي من المحتمل أن يكون قد أرسل قوة عن طريق تاعاناش وشونم لمقابلتها كما ذكرنا آنفا . وفي أثناء وجوده في مجدو يحتمل أن يكون قد أرسل فرقاً من جيشه إلى سهل عكا وإلى الجليل ، وفي مجدو أقام شوشنق شاهدا تذكارياً لم يكتشف إلا جزءاً من قمته (٧٤) . وأخيراً تحرك شوشنق جنوباً عبر الطريق القصير

فى أعلى الكرمل – إلى عرونه (٧٥) وبوريم (٧٦) وجيتى – بادالا (٧٧) ويحم (٧٨) وسوكوه (٧٩) حتى وصل إلى غزة حيث لحقت به قوات النقب الخاصة وعاد كل الجيش عن طريق رفح ولبنا (٨٠) ومنها على طول الطريق الساحلى حتى وصل إلى مصر ليحتفل بالنصر فى تانيس .

ربما ترك شوشنق الأول وراءه على عرش يهوذا وإسرائيل ملكين ضعيفين كما ترك وراؤه أيضا بعض المدن الحربة مثل تل بيت مرسيم (٨١) وربما بيت شمش (٨٢) ويورزا (تل يمّة) (٨٣) ومدن أخرى (٨٤) . بالإضافة الى أذيون – جبر التى سبق ذكرها . كما نسبت الى شوشنق قلعة اكتشفت فى شاروهين (تل الفرعا الجنوبية) (٨٥) والتى يحتمل أن يكون إنشاؤها بهدف أن تكون قاعدة حربية متقدمة لغاراته فى المستقبل (٨٦) . اذ ربما عقب حملة شوشنق ، بدأت المملكتان يهوذا وإسرائيل فى إتخاذ إجراءات وقائية ضد أى هجمات فى المستقبل . ففى إسرائيل أقام يربوعام فى تيرزا (٨٧) وأعاد بناء شكم (٨٨) بل ذهب إلى هناك وبنى بنوئيل (٨٩) لتكون حصنا ضد أى غزوات فى المستقبل . وفى يهوذا حصن رحبعام سلسلة من المدن ، فى أغلب الظن بعد حملة شوشنق . ولم تذكر الإعجلون فى قائمة شوشنق (٩٠).

لقد فسر البعض حملة شوشنق الأول على أنها محاولة لاعادة النفوذ المصرى فى آسيا الذى كان قد بدأ يضعف على أثر الضعف الداخلى الذى منيت به مصر بعد عصر الامبراطورية (٩١) . ولكن ليس هناك دليل على أن شوشنق الأول قد حاول الاحتفاظ بالممتلكات التى غزاها . وبخلاف فراعنة عصر الامبراطورية التى كان هدف حملاتهم « توسيع حدود مصر » لم تكن حملة شوشنق أكثر من حملة تأديبية وللحصول على الغنائم لتقديمها للإله آمون الذى بدأت ثروته فى الاضمحلال (٩٢) . لقد أثبتت الحفائر الأثرية أن التدمير الذى لحق بالمدن الفلسطينية كان على أثر الغزوة المصرية (٩٣) . ولكن لم

يستطع المصريون ولم يرغبوا فى الاحتفاظ بأى من الممتلكات التى استولوا عليها . علاوة على ذلك فلم يحاول شوشنق المضى فى فتوحاته شمالا فى سوريا، مما يوحى بأنه لم يقصد التوسع . لقد اعترف شوشنق على جدران معبد الكرنك(٩٤) بأن الجزية التى أحضرها من فلسطين قد وهبها لآمون كما شيد المبانى الكثيرة لهذا الإله . وأن النقش والنص اللذين يزينان معبد الكرنك يوضحان مدى التضرع والتوسل من جانب شوشنق للإله آمون . لقد كان يدرك شوشنق أنه من أصل أجنبى ، ولا بد لكى يكسب تأييد المصريون ويوحد المملكة وراءه أن يرضى إله منطقة طيبة ، رب الفتوحات وواهب الانتصارات . من هذا نرى أنه كان من وراء حملة شوشنق هدفان ، أحدهما تأديب الشاسو وثانيهما الرغبة فى توطيد حكمه خاصة فى منطقة طيبة التى كانت شبه مملكة منفصلة منذ نهاية الأسرة العشرين(٩٥) وذلك بإعادة مجد آمون وملء خزائنه الخاوية بالغنائم والأسلاب .

لقد اتبع أوسركون الأول (حوالى ٩٢٤ – ٨٨٩ ق . م .) سياسة والده تجاه فلسطين فيقص علينا سفر أخبار الأيام الثانى(٩٦) كيف « خرج إليهم زارح الكوشى (النوبى) بجيش ألف ألف وبمركبات ثلاث معه وأتى إلى مريشه » . وهناك حاربه ملك يهوذا آسا وهزم المعتدين وتعقبهم حتى جرار القريبة من حدود يهوذا الجنوبية وفلسطيا . ويمكن أن تؤرخ هذه الحادثة بالعام الرابع عشر من عهد آسيا أى حوالى عام ٨٩٧ ق . م .(٩٧) ويوافق هذا التاريخ العام الثامن والعشرين من حكم أوسركون الأول . وليس هناك مجال للقول بأن زارح هو أوسركون لأن الإسمين مختلفين تماماً بجانب أن أوسركون ملك من أصل ليبى بينما زارح لم يكن ملكا كما أنه من أصل نوبى . ولكن يمكن القول بأنه فى عام ٨٩٧ ق.م. أصبح أوسركون رجلا هرماً فأناب عنه قائداً نوبيا(٩٨) فى حملته إلى فلسطين لإحضار أسلاب وغنائم من هناك ولتحطيم قوة الملك آسا الحربية . لا نعرف على وجه اليقين إذا كان زارح

قد حقق مآربه من حملته ، إذ لم يترك لنا أوسركون الأول أى نقش له على جدران المعابد يصور انتصاره على عدوه . ولكن يحتمل أن أوسركون قد أحرز النصر على أساملك يهوذا إذا أخذنا فى الاعتبار ما حدثته به الآلهة موت على جدران الكرنك قائلة : « أقتلك سيداً أوحداً على شعب الشمس ، كل البلاد الأجنبية تحت قدميك ...[٩٩] .

وإذا كنا لا نعـــرف أى نشاط حربى قام به الملك تاكلوت الأول (حوالى ٨٨٩ — ٨٧٤ ق . م .) فان سياسة مصر الخارجية تجاه فلسطين فى عهد أوسركون الثانى (حوالى ٨٧٤ - ٨٥٠ق. م.) قد عادت إلى الخط الذى الزمه ملوك الأسرة الحادية والعشرين ، أى سياسة التقارب والوفاق . لقد عثر على بقايا إناء كبير من الألبستر فى قصر عمرى واحاب فى ساماريا تحمل خرطوش أوسركون الثانى وعلامة الكمية «١٨هين»[١٠٠] . وأن وجود مثل هذا الاناء فى مملكة إسرائيل يصبح له دلالته إذا عرفنا الصورة الحقيقية للظروف السياسية داخل مصر وخارجها . فإذا كانت الأحوال الداخلية فى مصر فى عهد شوشنق الأول وأوسركون الأول قد تمتعت بنوع من الاستقرار والوحدة الوطنية ساعدتا على أن يقوما بأعمالهما الحربية بشىء غير قليل من النجاح ، فإن عهد أوسركون الثانى شهد قلاقل داخلية تمثلت فى تحرك الوجه القبلى ومنطقة طيبة نحو نوع من الاستقلال عن الحكومة الفعلية فى تانيس ، بحيث أخذا يتوجهان نحو هارسيس الذى كان كبير كهنة آمون ثم انتحل الألقاب الملكية[١٠١] ، الأمر الذى يوحى بنزعة الاستقلال فى منطقة طيبة .

وهكذا لم تكن الظروف الداخلية لتسمح بالقيام بأى مغامرات حربية خارج البلاد إلا فى حالة الدفاع عن سلامتها . هذا فى الداخل أما فى الخارج فقد أصبحت دويلات غرب اسيا عرضة لأن تقع فريسة فى يد قوة

جديدة بدأت تظهر فى سماء الشرق القديم فى ذلك الوقت ألا وهى أشور . لذلك فقد كان من السياسة الحكيمة وبعد النظر أن تسعى مصر إلى إعادة سياسة التقارب بينهما وبين جارتها الشمالية فلسطين لتعبئة الموارد لدرء الخطر المشترك الرابض على الحدود فى الشمال . وأن السعى لتحقيق هذه السياسة يفسر لنا وجود الإناء الألبستر (الذى بالضرورة كان يمتلىء بعطر ثمين) فى قصر سامارياً[١٠٢] كأحد الهدايا التى أتى بها المبعوثون المصريون إلى بلاط وايزابل .

لقد نشطت آشور فى عهد أشورناسيربال الثانى (حوالى ٨٨٤ — ٨٥٩ ق . م .) وفى عهد شالمنصر الثالث (حوالى ٨٥٩ — ٨٢٤ ق . م .) وأخذت فى إخضاع ممالك سوريا والشرق لسلطانها[١٠٣]، وفى عام ٨٥٣ ق.م. اتحد كل من حكام سـوريا الجنوبية وفينيقيا وفلسطين لمقاومة الغازى الأشورى ، وأرسلت حماه ودمشق وإسرائيل جيوشها بجانب ٥٠٠ جندى من بيلوص وألف جندى من مصر وفرق من ست حكام آخرين[١٠٤] . وفى تلك السنة تمكن الحلفاء من تحطيم القوة الآشورية عند قرقر ولكن بعد أن منيت جيوشهم بخسائر فادحة . لقد كان اشتراك مصر فى هذه المعركة متمشياً مع سياسة مصر فى عهد أوسركون الثانى المبنية على أساس التقارب مع إسرائيل وكذلك مع بيلوص بغرض الوقوف فى وجه عدو مشترك كاد يهددها جميعاً . وهكذا جعلت مصر من فلسطين درعاً يقيها من أى هجوم أشورى فى المستقبل وذلك بالمساعدة الحربية والسياسية الودية عن طريق إرسال الهدايا .

وفى أثناء حكم تاكلوت الثانى (حوالى ٨٥٠ — ٨٢٥ ق . م .) استمر النزاع بين دويلات الشرق القـريب تارة أو الاتحاد مع بعضهم البعض ضد آشور تارة أخرى خاصة فى عهد شالمنصر الثالث . ويبدو

أن مصر ظلت ترسل فرقاً لمساعدة أعداء آشور بالرغم من عدم وجود دليل مباشر على ذلك . وفى هذا الوقت أيضاً قامت الحرب بين دمشق وإسرائيل التى استنجدت بالحيثيين والمصريين(١٠٥) .

ومهما كان الأمر فحوالى عام ٨٤١ - ٨٣٨ ق. م. أصبحت كل الأراضى الغربية ممددة من آشور التى أصبح لها اليد العليا فى ذلك الوقت . لم يجد يهو ملك إسرائيل بداً من دفع الجـــزية مع آخرين لشالمنصر الثالث . وفى ذلك الوقت أيضاً يسجل شالمنصر الثالث أيضاً « جزية أرض موصرى (مصر) . » والتى تكونت من جمال ذوات سنامين وفرس بحر ووحيد القرن ووعل وفيلة ونوعين من القردة(١٠٦) . ومن هنا نرى أن سياسة مصر كانت تجرى مع تيار السياسة الفلسطينية فى شراء آشور حتى لا تتعرض لهجومها .

أما فى المجال الاقتصادى فقد كان لمصر تأثير كبير خارج حدودها ففى خلال القرن التاسع قبل الميلاد وجدت مملكتا يهوذا وإسرائيل أن من مصلحتيهما الاقتصادية اتخـاذ الأرقام الهيراطيقية المصرية(١٠٧) وإعادة تقييم الموازين والمقاييس لتوائم النظام المصرى(١٠٨) . وفى أغلب الظن أن هذا يرجع إلى استعادة مصر مركزها التجارى فى فينيقيا خاصة فى بيلوص فى عهد الأسرة الثانية والعشرين ، وليس أدل على ذلك من العثور فيها على تماثيل لشوشنق الأول وأوسركون الأول وأوسركون الثانى(١٠٩). لقد كان موقع تانيس كميناء تجارى فى الطرف الشمالى من مصر جعلها فى فى مركز تسيطر منه على التجارة عبر الحدود ، علاوة على ذلك فليس لدينا أى دليل على أن الملوك الليبيين قد شجعوا سكان فلسطين على التجارة البرية مع مصر . وفى عهد الأسرة الثانية والعشرين الليبية ، سمح لبعض الجيوب السامية بالاستقرار فى مصر . فتشير حوليات أوسركون ، كبير الكهنة

فى طيبة ، إلى معسكر للشاسو الفلسطينيين بجوار نبتج ، أطفيح الحالية ، والذين كانوا مرتبطين بخدمة معبد آمون(١١٠) .

وفى عهد الملك أوسركون الرابع (حوالى ٧٣٠ — ٧١٥ ق . م .) آخر فراعنة الأسرة الثالثة والعشرين البوباستية ، سارت مصر فى سياستها مع فلسطين على نفس الخط الذى رسمه لها أوسركون الثانى . ففى عام ٧٢٦/ ٧٢٥ ق . م . رفض هوشع ملك إسرائيل دفع الجزية للملك الأشورى شالمنصر الخامس لاستيائه من الضريبة التى كان قد فرضها سلفه على الخشب اللبنانى . وفى نفس الوقت أرسل رسلا يطلب المعونة من « سو » ملك مصر(١١١) ، إن طلب ملك إسرائيل المساعدة من مصر لدليل على استمرار التحالف الذى بدأه أوسركون الثانى ، برغم مضى ما يقرب من قرن من الزمان شهدت فيه مصر تنازعات على السلطة وانقسمت فيه البلاد إلى عدة أقسام كل له حاكمه وصاحب الأمر فيه . لقد كان لهذا التحالف أن يستمر مادام الخطر الأشورى مازال قائماً ، ولا بد أن مصر قد رحبت بتقديم المساعدة خاصة وأنها قد أضيرت بالسياسة التى اتبعها الملك الأشورى تيجلات — بيلزر والخاصة بمنع تصدير الخشب اللبنانى إلى مصر(١١٢) ، ولكن شالمنصر الخامس حاصر سامارياعاصمة إسرائيل ثلاث سنوات سقطت بعدها وهجر قبائل إسرائيل العشر إلى ولاية جوزان والمنطقة الواقعة جنوب شرق بحيرة أورميا(١١٣) .

لقد طالت المناقشات وتعددت الآراء حول معرفة من هو الفرعون « سو » الذى استنجد به هوشع ملك إسرائيل . لقد اقترح البعض أنه «سيبا» قائد جيش مصر والذى ذكره سرجون الثانى ملك أشور عام ٧٢٠ ق . م .(١١٤). ولكن هذا لا يمكن قبوله إذ أن « سيبا » قائد جيش وليس فرعوناً . كذلك لا يمكن اعتباره الفرعون شاباكو الذى لم يحكم مصر حتى

حوالى عام ٧١٥ ق . م . وقد اقترح البعض أيضاً أنه الفرعون تفناخت أحد فراعنة الأسرة الرابعة والعشرين (حوالى ٧٢٨ — ٧٢٠ ق.م.) على أساس أن الإسم العبرى SO, ما هو إلا تصحيف للإسم الحوريسى (SI, – Ib) (١١٥) . ولكن ما يعارض هذا الرأى أن الكتاب والحكام الأجانب كانوا دائماً يشيرون إلى الفراعنة بأسمائهم التى تكتب داخل الخراطيش ، وفى العصر المتأخر بأسمائهم الشخصية(١١٦) . وهناك اقتراح ينادى بتعديل قراءة النص الوارد فى سفر الملوك الثانى (١٧ : ٤) كالآتى : « أرسل رسلا إلى سايس [إلى] ملك مصر »(١١٧) أى إلى تفناخت الذى أغفل ذكره . ولكن يرد على هذا الاقتراح بأن موقع سايس جغرافيا ليس مناسباً لإرسال نجدة سريعة إلى ملك إسرائيل علاوة على ذلك فإن قراءة « سو » على أنها « سايس » تحتاج إلى تصحيح فى النص وهذا ما لا حاجة لنا به لو اعتبرنا « سو » اسم شخص وليس اسم مكان . كما أنه يجب ألا ننسى ان هناك تحالفاً قائماً منذ أيام أوسوركون الثانى وتاكلوت الثانى من ملوك الأسرة الثانية والعشرين وإسرائيل ، وليس هناك أى مملكة فى سايس كانت معروفة قبلا لدى البلاط العبرى . والأمر الأخير أن أنبياء ذلك الزمان فى إسرائيل كانوا دائماً يندبون بالرسل الذاهبين إلى تانيس وليس إلى سايس ، فاشعيا ذكر ان « رؤساء صوعن (تانيس) أغبياء »(١١٨) فبالنسبة له كانت تانيس هى عاصمة فرعون مصر ولم تكن أبدا عاصمة تافناخت .

ولعل المرشح المفضل لاسم « سو » هو الملك أوسوركون الرابع الملك فى تانيس وبوياستيس . والذى يرجح ذلك أنه يمكن اعتبار الاسم « سو » اختصاراً لـ(أو) سو (ركون)(١١٩) وقد يكفينا هذا التفسير عن تصحيح النص العبرى فى التوراه . علاوة على ذلك فقد حكم أوسوركون الرابع من تانيس التى ترددت دائماً على لسان الأنبياء اليهود ، كما أن مملكة أوسوركون

فى شرق الدلتا وبلاطه وقصور أسلافه والمعابد التى شيدوها ، كل ذلك قد يثير الرسول اليهودى أكثر من تفناخت ومركزه فى سايس فى شمال الدلتا. كما أن وجود أوسوركون فى شرق الدلتا وعلى مقربة من فلسطين تجعله أسرع من يمكنه تقديم المساعدة إذا طلبت منه . ولا ننسى التحالف الذى كان قائماً بين ملوك الأسرة الثانية والعشرين (منذ عهد أوسوركون الثانى) وإسرائيل .

وحينما هاجم شالمنصر الخامس هوشع ملك إسرائيل حينما رفض دفع الجزية ، أسرع هذا الأخـــير بطلب المساعدة الحربية من « سو » (أوسوركون الرابع) تنفيذاً لشروط التحالف الذى بينهما . وإذا كانت التوراة لم تذكر أى مساعدة من جانب أوسوركون الرابع ، فلعل هذا يرجع إلى أنه لم يكن عنده الموارد الكافية لتجهيز جيش مثلما فعل شوشنق الأول أو أوسوركون الأول. لقد كان لعدم إرسال النجدة المصرية إلى إسرائيل أثره فى سقوط سامريا فى يد آشور وتهجير سكان إسرائيل بل وأسر هوشع نفسه حوالى عام ٧٢٤ قبل الميلاد . وإذا كان أوسوركون الرابع عجز عن إرسال المدد لخليفة هوشع ملك إسرائيل لقلة موارده فقد استطاع باكنرانف (حوالى ٧٢٠ - ٧١٥ ق . م .) أحد ملوك الأسرة الرابعة والعشرين فى سايس من مد يد المساعدة للفلسطينيين الذين أخضع بلادهم سرجون الثانى حتى وصل إلى غزة عام ٧٢٠ ق . م . فقد أرسل فرعون مصر « Raia » قائد جيشه بقوة لمساعدة هانون ملك غزة ولكن الحلفاء منيوا بالهزيمة وسقطت غزه فى يد الملك الآشورى وهرب « Raia » إلى مصر ثم سقطت رفح(١٢٠) .

وأخيراً فى عام ٧١٦ ق . م . عاد سرجون الثانى مرة ثانية وهاجم فلسطيا وتوجه نحو مصر بعد أن أخضع العرب المحليين وعين شيخا تابعاً له

عند لابان جنوب رفح ليدير شئونه من « ناخال موصور » (وادى مصر) بالقرب من العريش[١٢١] . وبذلك أصبح الجيش الآشورى على بعد ١٢٠ ميلا من تانيس نفسها وأقل من ١٠٠ ميل من قلعة تشارو على الحدود الشرقية لم يجد أوسوركون الرابع مفراً من شراء العاهل الآشورى بأن أهداه اثنى عشر حصانا مصريا كبيراً « ليس لهم نظير فى البلاد (اشور) » على حد قول سرجون نفسه[١٢٢] .

لقد ظلت مصر أيضاً الملجأ الأمين الذى يلجأ إليه الفارون من ملوك وأمراء فلسطين فى أيام الأسرة الخامسة والعشرين النوبية ، مما يدل على استمرار التحالف والصداقة بين مصر وفلسطين . ففى عهد الملك شاباكو (حوالى عام ٧١٦ — ٧٠٢ ق . م .) ثالث ملوك هذه الأسرة أرسل الملك الآشورى سرجون الثانى عام ٧١٢ ق . م . قائد جيشه لتأديب المدينة الفلسطينية أشدود التى حاول ملكها يامانى رفع النير الآشورى عن كاهلها[١٢٣] . وأخيراً سقطت أشدود وعين عليها ملك جديد وبجواره حاكم لمراقبته كما أقيم شاهد يدل على الانتصار الآشورى على المدينة[١٢٤] ، وهرب يامانى إلى مصر ولكن « برو ملك موصرو (فرعون مصر) التى تدعى (الان) لكوش (النوبة) » أضطر إلى تسليمه لاشور[١٢٥] . وبالرغم من التعاطف الذى أبداه شاباكو تجاه أحد أمراء فلسطين ، إلا أنه كان ينظر دائماً إلى مصلحة مصر التى كان يريد أن يجنبها أى صدام مع آشور القوية وذلك على الأقل — بتحييد موقفه منها . وقد يؤيد هذا الكشف فى نينوى عن ختم يحمل ألقاب شاباكو وصورته فى وضع مقتصر بجوار ختم آشورى . وقد يكون هذا الختم قد استعمل فى توثيق معاهدة دبلوماسية أبرمت بين ملك مصر وملك آشور ونسخت على ورق البردى ولكنها تلفت مع الزمن[١٢٦] .

وإذا كان شاباكو قد تفادى الصدام مع آشور على حساب فلسطين ، فقد كان من سياسة خليفته شبتكو (حوالى ٧٠٢ — ٦٩٠ ق . م .) أن يسير على الخط القـــديم وهو التعاون من أجل مصلحة مشتركة كما لم يأل الفلسطينيون جهداً فى سبيل إحياء التحالف القديم بطلبهم المعونة من مصر . لقد انتهز حزقيا ملك يهوذا وآخرون عام ٧٠٢ ق . م . فرصة انشغال سناخريب ملك آشور فى إعادة تثبيت الحكم الآشورى والوقوف ضد محاولات حكام فلسطين الصغار فى الإطاحة بهذا الحكم وبدأوا فى الاتصال بالملك شبتكو ليحصلوا على تأييده ضد أشور . وبخلاف سلفه ، اتبع شبتكو سياسة هجومية فى غرب آسيا وأعد قواته بقيادة أخيه طهارقة للحرب فى فلسطين ضد الآشوريين . وفى عام ٧٠١ ق . م . توغل سناخريب فى فينيقيا(١٢٧) ، وفلسطيا ويهوذا واستعد الحلفاء لمقابلة القوة المصرية للقاء الجيش الآشورى عنـــد التقية(١٢٨) . وفى أول الأمر أسر سناخريب صدقيا ملك عسقلان ثم حاصر جيش الحلفاء وهزمه عند التقية ثم استولى على تمنة وعقرون(١٢٩) . وبعد ذلك قفز إلى لاخيش . وفى ذلك الوقت أرسل سناخريب قائده مع قوة كبيرة من الجيش(١٣٠) إلى بيت المقدس لإجبار حزقيا ملك يهوذا على تسليم نفسه . وفى هذه الأثناء تم الاستيلاء على لاخيش(١٣١) وبدأ الهجوم على لبنا . وأخيراً اضطر حزقيا إلى دفع الجزية(١٣٢) كما استسلم بادى ملك عقرون(١٣٣) بينما ظلت أبواب بيت المقدس موصدة فى وجه القوات الآشورية(١٣٤) . ويبدو أنه بينما كانت القوات الآشورية موزعة بين بيت المقدس ولبنا ، انتهز المصريون وعلى رأسهم طهارقة الفرصة لمهاجمة الجيش الآشورى(١٣٥) ، الأمر الذى يرجح أن انتصار سناخريب على المصريين وحلفائهم فى التقيـــة لم يكن حاسماً . وأخيراً أعاد سناخريب توحيد جيوشه ورجع بها إلى فلسطيا . لم يجد طهارقة مفراً من إنقاذ جيشـــه إلا الانسحاب بسرعة إلى مصر بينما قوى

الأشوريون قبضتهم مرة أخرى على فلسطيا ولكنهم سرعان ما عادوا إلى أشور ونينوى .

أدرك أسارحدون — خليفة سناخريب — أن طهارقة فرعون مصر حوالى (٦٩٠ — ٦٦٤ ق . م .) هو اليد المحركة وراء ثورات أتباعه فى فلسطين وفينيقيا . لذلك صمم على غزو مصر ، فجرد حملة هزمت على يد جيوش طهارقة(١٣٦) ، ولكنه عاود الكرة عام ٦٧١ ق . م . واستطاع هزيمة جيش طهارقة عند مدينة أسخوبرى ودخل منف . وفر طهارقة إلى طيبة ولكن ما كاد الجيش الأشورى ينسحب من البلاد حتى عاد طهارقة واستولى على منف . سار أسارحدون عام ٦٦٩ ق . م . للقضاء على طهارقة ولكنه توفى فى الطريق . وأخيراً تمكن ابنه أشوربانيبال من غزو مصر عام ٦٦٧ ق . م . وعام ٦٦٤ ق . م . وأصبحت فى قبضة أشور . ولكن فى عام ٦٥٦ ق. م. تمكن بسمانيك الأول من توحيد البلاد بإخضاعه أمراء الدلتا ومنطقة طيبة لسيطرته ، بل استطاع تحرير بلاده من السيطرة الأشورية بتحالفه مع جيجيس ملك ليديا(١٣٧) . وفى عهده بدأ السوريون واليهود يكثرون فى مصر وهناك احتمال كبير فى أن الجالية اليهودية فى أسوان التى لعبت دوراً كبيراً فى القرن الخامس قبل الميلاد إبان الحكم الفارسى لمصر ، قد نشأت فى أيامه(١٣٨) . على أى حال فيحتمل أن بسمانيك الأول قد ظل حليفاً للأشوريين حتى نهاية عهده التى شهدت سقوط نينوى فى يد الملك البابلى نابوبولاسار والميديين عام ٦١٢ ق.م.(١٣٩) .

مد نخاو الثانى (٦١٠ — ٥٩٥ ق.م.) يد المساعدة لأشور — أو باليت الملك الأشورى الذى اتخذ من حران قاعدة له بعد سقوط نينوى العاصمة ، بأن سار على رأس جيشه واتجه إلى فلسطين . ولكن الدبلوماسية الكلدانية نجحت فى تأليب فلسطين ضد آشور ، إذ واجه نخاو الثانى ثورة

فى غزة كما حاول ملك يهوذا يوشيا التعرض للجيش المصرى وهو فى طريقه إلى الشمال ولكنه هزم وقتل عند مجدو(١٤٠) ، وبالتالى أصبحت مملكته تابعة لمصر بصفة مؤقتة . واستطاع نخاو فى النهاية الانضمام إلى قوات آشور — أوباليت عند قرقميش . انهزم الجيش المصرى على يد نبوخذرزار الثانى خليفة نابوبولاسار على عرش بابل عام ٦٠٥ ق . م . وانسحب إلى مصر تاركا كل سوريا وفلسطين تحت رحمة الملك البابلى(١٤١) . لقد كان لانتصار العاهل البابلى أثره المباشر على مجريات الأمور فى فلسطين ، إذ نجد يهوياقيم ملك يهوذا ، الذى عينه نخاو ملك مصر فى منصبه ، يعلن خضوعه لنبوخذرزار(١٤٢) ولكنه سرعان ما تنكر لهذا الأخير حينما هزمه المصريون فى محاولته الثالثة لغزو مصر عام ٦٠١ ق . م . لم يسع نبوخذرزار إلا أن أرسل جيشاً حاصر به بيت المقدس عام ٥٩٧ ق . م . ومات يهوياقيم أثناء الحصار بينما أخذ ابنه يهوياكين أسيراً إلى بابل مع جنوده وصناع مملكته وأعيانها(١٤٣) . وهكذا أصبحت سوريا وفلسطين مرة أخرى فى يد قوة معادية لمصر مما كان له أسوأ الأثر على تجارتها التى كانت تتخذ من موانى فينيقيا مرفأ لها . ولعل هذا ما يفسر لنا الخطوة التى اتخذها إبريس فرعون مصر (٥٨٩ — ٥٧٠ ق . م .) ، من المسارعة لتأييد صدقيا ملك يهوذا حينما أعلن الثورة على الملك البابلى . أرسل إبريس جيشه إلى فلسطين الذى نجح فى الاستيلاء على صيدا بينما أجبر الحامية البابلية على الانسحاب من بيت المقدس وبعض المدن الأخرى تاركة وراءها رجالا مخلصين لمصر أمسكوا بأيديهم مقاليد الحكم . ولكن نبوخذرزار لم يقف مكتوف اليدين ، إذ سرعان ما أرسل جيشاً أجبر المصريين على الانسحاب وحاصر بيت المقدس لمدة ثمانية عشر شهراً واستسلمت فى النهاية عام ٥٨٦ ق . م . أخذ صدقيا آخر ملوك يهوذا أسيراً إلى بابل بينما تم تهجير الجزء الأكبر من السكان إلى بابل(١٤٤) . ولكن فى زمن لاحق ، حينما شعر

من بقى من السكان أن حياتهم فى يهوذا أصبحت لا تحتمل هربوا إلى مصر مصطحبين معهم النبى أرميا(١٤٥) .

لم يعد اهتمام نبوخذ رزار بسوريا وفلسطين عسكرياً فقط بل أصبح كذلك اهتماماً تفرضه دوافع اقتصادية . لقد كان اتحاد الميديين فى دولة واحدة سبباً فى أن فقدت بابل السيطرة على الطرق الشرقية ، لذلك اتجه الملوك البابليون نحو الغرب فى محاولة للاستيلاء على الطرق التجارية القادمة من شبه الجزيرة العربية صوب الشمال . لقد حاولت مصر دائماً إضعاف قبضة بابل على سوريا وفلسطين لأنها كانت تعتبرها المسئولة عن تدهور تجارتها لسيطرتها على الساحل الفينيقى وساحل فيلقيا(١٤٦) . ويحدثنا سفر الملوك عن مقتل جدليا ، الحاكم الوطنى الذى كان قد عينه نبوخذ رزار على بيت المقدس بعد أن أسر صدقيا(١٤٧) وذلك بإيعاز من مصر التى كان يحكمها فى ذلك الوقت الفرعون أمازيس (٥٧٠ — ٥٢٦ ق.م.) . لذلك صمم الملك البابلى على تجريد حملة لغزو مصر عام ٥٦٨ ق.م. لا نعرف عن تفاصيلها شيئاً(١٤٨) . لقد كان تزايد قوة الفرس سبباً فى تقارب المملكة البابلية والمملكة المصرية بعد ذلك ، ولكن سرعان ما ابتلعت القوة الجديدة كلا المملكتين ، الأولى فى عام ٥٣٩ ق.م. أيام نابونيدس والثانية فى عام ٥٢٥ ق.م. أيام بسماتيك الثالث .

خلاصة القول ، فقد كانت العلاقة بين مصر وممالك فلسطين فى النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد يشوبها الود والإخاء فى معظم حالاتها والبعد والجفاء فى أقل حالاتها . فباستثناء حملتى شوشنق الأول وأوسركون الأول (أسرة ٢٢) اللتين لم يكن الهدف منهما الغزو والفتح بقدر ما كان لتوطيد دعائم حكمهما — باعتبارهما حكاماً أجانب — فى مصر بإعلاء شأن آمون وإرضاء كهنته بالغنائم والأسلاب

والظهور أمام المصريين بمظهر الفـــراعنة الغزاة الفاتحين لاستقطاب إعجابهم باستعادة أمجاد الدولة الحديثة . أقول باستثناء هاتين الحملتين كانت العلاقات بين الجارتين تسير على خط واحد وهدف مشترك . لقـد كانت مصر الملجأ الأمين الذى يلجأ إليه المغضوب عليهم والمطرودون والمظلومون من أبنـاء الممالك الفلسطينية حيث كانوا يجدون المعاملة الطيبة والضيافة الكريمة . فهـذا هداد أميرادوم لم يجـــد أمامه إلا مصر ليفد إليها بعد استيلاء داوود على مملكته ، فأكرمه ملك مصر ورباه فى قصره بين الأمراء وأخيراً تزوج من شقيقة ملكة مصر آنذاك أيام سيامون (أسرة ٢١) . كما ترحب مصر بيربعام ابن نبـات حينما هرب إليها خوفاً من بطش سـليمان (أيام الأسرة ٢٢) كما التجأ يمانى ملك أشـدود إلى مصر حينما غزاها الملك الأشورى سرجون الثانى (أيام الأسرة ٢٥) .

كما لجأ كثير من اليهود أيام بسماتيك الأول (أسرة ٢٦) ويحتمل أنهم عاشوا على الحدود الجنوبية كأفراد من حامية عسكرية وكونوا لهم جالية هناك . كما لم يجد أرميا وصحبه مكاناً خيراً من مصر يذهبون إليه بعد أن سقطت عاصمتهم فى يد العاهل البابلى (عام ٥٨٦ ق.م.) .

كانت السياسة المصرية والفلسطينية تلتقى فى معظم الأحوال على خط واحد وهدف مشترك . ففى عهد الأسرة (٢١) كان تأمين الطرق التجارية المارة فى فلسطين من الجنوب والمتجهة نحو الشمال ، الهدف الأول الذى ربط بين المصالح المصرية والفلسطينية وجعل الجارتين تعملان سوياً للقضاء على غارات قبائل الشاسو وهجمات سكان فلسطيا . ولتأكيد هـذا التحالف تمت مصاهرة سليمان لفرعون مصر سيامون الذى لم يتردد فى إعطائه مدينة جزر هدية له باعتبارها بائنة لابنته . ولقـد كان لظهور آشـور كقوة كبرى فى

القرن التاسع قبل الميلاد ومحاولاتها المتعددة للاستيلاء على سوريا وفلسطين أثره فى زيادة التقارب بين أوسركون الثانى (أسرة ٢٢) وأحاب ملك إسرائيل لدرجة أن تبادل الملكان الهدايا التى نعرف منها ذلك الإناء الألبستر الذى عثر عليه فى قصر الملك فى سماريا . وحينما تصدت دويلات سوريا وفينيقيا وفلسطين للهجوم الأشورى عليها فى عهد شلمنصر الثالث ، أسرعت مصر بتقديم المساعدة وكان تحطيم القوة الأشورية عند قرقر ٨٥٣ ق. م. وعندما وجدت إسرائيل ومصر أن قوة أشور تفوق قوتهما ، اتفقا على شراء آشور بأن قبل يهو ملك إسرائيل دفع الجزية بينما أهدت مصر الملك الأشورى بعض الحيوانات الإفريقية الثمينة . لم يتباطأ أوسوركون الرابع (أسرة ٢٣) فى إرسال المساعدة إلى هوشع ملك إسرائيل حينما تحدى السلطان الأشورى أيام شلمنصر الخامس . وكذلك فعل باكنوانف (الأسرة ٢٤) بإرساله جيشاً لمساعدة هانون ملك غزة حينما تعرضت للهجوم الأشورى فى عهد سرجون الثانى . وحينما طلب حزقيا ملك إسرائيل المساعدة من شبتكو فرعون مصر (أسرة ٢٥) ، أرسل له جيشاً بقيادة أخيه طهارقة . ولما وقعت سوريا وفلسطين مرة أخرى فى يد العاهل البابلى نبوخذ رزار ، سارع إبريس (أسرة ٢٦) إلى نجدة صدقيا ملك يهوذا لأن المصلحة المشتركة فى جعل الطريق مفتوحاً إلى موانى فينيقيا حتمت عليه ذلك .

وإذا كانت سياسة نخاو الثانى (أسرة ٢٦) مساعدة آشور كانت ترمى إلى كسر شوكة القوة البابلية المتصاعدة ، فلم يكن من السياسة الحكيمة أن تثور غزة فى وجه الجيش المصرى الزاحف صوب الشمال ولا أن يقف يوشيا ملك يهوذا معترضاً طريق المصريين ولا أن يستسلم يهوياقيم الذى نصبه نخاو الثانى على عرش يهوذا لنبوخذ رزار .

هذا فى الوقت الذى ضحت فيه مصر باستقلالها من أجل فلسطين حينما غزاها أسارحدون ملك آشور معتقداً أن وراء الثورات فى فلسطين يداً مصرية وأخيراً وقعت مصر فريسة بين أنياب العاهل الأشورى العظيم أشوربا نيبال عام ٦٦٧ ق٠ م٠

فلتقرأ إسرائيل القرن العشرين تاريخ الأجداد لتعرف الدين الكبير الذى تدين به لمصر وللمصريين ٠

الاختصارات

ANET	J.B Prtichard (ed.), Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament. 2d ed. revised. New Jersey. 1955.
ASAE	Annales du service des Antiquités de l'Egypte.
BA	The Biblical Archaeologist.
BAR	J.H. Breasted, Ancient Records of Egypt, 5 vols.
BASOR	Bulletin of the American Schools of Oricntal Research.
BIFAO	Bulletin de l'Institut Français d'archéologie Orientale.
CAH	Cambridge Ancient History, 2d ed. revised.
JARCE	Journal of the American Research Center in Egypt.
JEA	Journal of Egyptian Archaeology.
JNES	Journal of Near Eastern Studies.
LB.	Y. Aharoni, The land of the Bible; 1966.
PM.	B. Porter and R.L·B. Moss, Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts, Reliefs and Paintings 7 vols.
RHJE	Revue de l'Histoire Juive en Egypt.
URK.I	K. Sethe, Urkunden des Alten Reichs, 2d ed
URK.IV.	K.Sethe. Urkunden der 18. Dynastie, Historischbiographische Urkunden. 4 vols.
VT	Vetus Testamentum.

مراجع البحث

(١) لقد كان أمنموبى فرعوناً فى تانيس وكان يشغل فى نفس الوقت منصب كبير كهنة آمون بها كما لم ينازع سلطانه فى طيبة منازع ، اذ أن اسمه وجد منقوشاً على قلادات وأربطة عثر عليها — على الأقل — فى تسعة مقابر خاصة برجال الدين فى طيبة .
Cf. Daressy, ASAE,8 (1907). 23ff.

(٢) هم شعب من شعوب البحر المتوسط حاولوا الهجوم على مصر والاستيطان فيها فى بداية القرن الثانى عشر قبل الميلاد وأيام أن كان يحكم مصر رمسيس الثالث (١١٨٢ — ١١٥١ ق . م .) ولكنهم ردوا على أعقابهم بعد هزيمتهم فى معركة بحرية حاسمة . (A. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, 283 ff) ثم سمح لهم بالاستيطان فى فلسطين كأتباع للمصريين وقد استقروا فى السهل الساحلى من غزة جنوباً الى يافا شمالا ثم جاهدوا لتوسيع ممتلكاتهم فى الشمال والشرق على حساب القبائل العبرية القاطنة فى هذه المناطق . انظر :
Albright, " Syria, the Philistines and Phoenicia " CAH, Vol. II, chap. 23,28 f.

(٣) هم أيضاً جماعة من شعوب البحر المتوسط وقد شاركوا الفلسطينيين فى الهجوم على مصر وجاء ذكرهم فى النصوص المصرية باسم « تشكر » وأخيراً استقروا معهم فى الساحل الفلسطينى فى منطقة سهل شارون . ومن قصة وينامون التى ترجع إلى أوائل القرن الحادى عشر قبل الميلاد نعرف أنهم كانوا يحتلون مدينة دور ، علاوة على ذلك فقد اشتهروا بالقرصنة بعد قرن أو يزيد من استقرارهم .
(Ibid.).

(٤) O. Eissefeldt, " The Hebrew Kingdom ", CAH, Vol. II, Chap. 34,22 ff.

(٥) Ibid. 46—48.

(٦) لقد كانت حازور أكبر مدينة فى المنطقة فى العصر البرونزى المتوسط كما كانت من القوة لدرجة أنها ذكرت فى نصوص اللغة المصرية :
(Cf. Pesener, Syria, 43 [1966], 277. ff.)
كما ذكرت أيضاً فى خطاب مارى الأمر الذى يؤكد صلاتها الدبلوماسية مع مدينة مارى .
Y.Yadin, BA, 19 (1956), 2.
انظر :

(٧) الملوك الأول ١١ : ١٤ — ٢٢ . أما بخصوص منح اللاجئين أرضاً وطعاماً ، فقارن قصة سنوهى التى تبعد عن العصر الذى نحن بصدده بحوالى ألف عام :
J.A. Wilson in ANET, 22a.

(٨) قارن الاقطاعات الخاصة بأعضاء الأسرة المالكة والخاصة باعاشة الموظفين :
Helck, Materialen Zur Wirtschaftsgeschichte des Neven Reiches. II, 1960, 2II—15,

(٩) عن أصل هـذا الإسم الذى يعنى « زوجة الملك » باعتباره تصحيفاً بالعبرية للعبارة المصرية « تاحت — با — نسو » انظر :
Grdseloff, RHJE, I (1947), 88—90,

(١٠) لقد كان فطام الرضع فى مصر الفرعونية يبدأ عند بلوغهم سن الثالثة وكذلك كان الحال بين العبرانيين : قارن :
A. Bertholet, A History of Hebrew Civilization, 1926, 162 and n. 8·

لذلك فليس من المستبعد أن تكون هذه العادة قد اتبعت عند فطام ابن هداد أيضاً .

(١١) الملك الأول ١١ . ٢٠ ، ولعل تربيـة جنوبث فى بلاط فرعون وبين أبنائه يرجع إلى تقليد مصرى قديم حيث كان الفراعنة يرحبون بتربيـة أولاد النبلاء والعامة والأجانب فى بلاطهم . ففى الدولة القـديمة نجد أن بتاح — شبسس من الأسرة الخامسة قد « تربى بين أولاد الملك داخـل القصر » (URK I,51) وفى الدولة الوسطى نسمع عن آخر نفرت (ANET,239) أما عن الأجانب ومنهم الأمراء فقارن : (ANET,239) .

(١٢) ولإذا ترجمنا هذا إلى لغة الحساب يصبح لدينا المعادلة الآتية :
٩٧٠ + ٥ + ١٨ (— ٢ أو ٣ سنوات) = حوالى ٩٩١ أو ٩٩٠ قبل الميلاد .

(١٣) لم تـكن العلاقات بين مصر وآدوم جديدة كل الجـدة بل سبقتها علاقات أيام رمسيس العاشر أو الحادى عشر ، انظر :
M. A. Korostovtsev, An Uupublished Ancient Egyptian Literary Text. Moscow, 1960 (25 th. Congress of Orientalists).

(١٤) فعلى سبيل المثال كم كان استياء تحتمس الثالث شديداً حينما عـلم أن دويلات الحارو قد اتفقت فيما بينها على الثورة ضـد مصر ، لذلك نراه وقد قام بحملته الآسيوية الأولى وذلك لأن « (المنطقة) ابتداء من يردج حتى المستنقعات (الشمالية) قد ثارت ضد جلالته » (URK. IV, 648 : 6—7.) كما كانت حملة سيتى الأول فى آسـيا بناء على تقرير بأن الشاسو « قد اتحدوا ووقفوا على جبال فلسطين وبدأوا فى الهياج والتنازع ، كل رجل يقتل زميله متجاهلا قوانين القصر » :
K.A. Kitchen, Kamesside Inscriptions, Historical and Biographical (Oxford, 1969), I,I,9 : 4 - 5 .

(١٥) الملوك الأول ١١ : ٢٢ .

(١٦) عن الشاسو فى الوثائق المصرية انظر :

R, Giveon; Les Bedouins shosou des Documents Egyptiens (Leiden, 1971).

(١٧) صموئيل الثانى ٨ : ٢ ، ١٣ — ١٤ .

(١٨) Albright. CAH, Vol. II, Chap. 34,26.

(١٩) Ibid., 46 f.

(٢٠) Montet, Osorkon II, 36 and pI.I.

(٢١) الملوك الأول ٩ : ١٦ .

(٢٢) لقد عاشت إبنة فرعون التى تزوجت سليمان فى مدينة داود حتى انتهى (أى سليمان) من بناء قصره ومعبد الاله وحائط بيت المقدس (الملوك الأول ٣ : ١) فواضح هنا أن إبنة فرعون كانت متزوجة من سليمان وتعيش فى « مدينة داود » بينما كان تشييد المعبد قائماً على قدم وساق . لقد استغرقت عملية تشييد المعبد المدة من السنة الرابعة حتى السنة الحادية عشرة من حكم سليمان أى من حوالى ٩٦٦ حتى ٩٥٩ ق . م . وقد أشار (Grdseloff) أن الأخشاب اللازمة للمعبد والتى أحضرها بحارة حيرام حاكم صور ، قد أحضرت إلى يافا ومنها إلى بيت المقدس عن طريق جزر . (RHJÉ,I (1947),91) وبذلك يكون إعطاء جزر بائنة لسليمان (بعد فتح مصر لها) قد وقع قبل اتفاقية الأخشاب مع جزر لبناء المعبد أى قبل السنة الرابعة التى توافق عام ٩٦٦ ق . م . ويجب أن نلاحظ أيضاً أن ذكر قصة الزواج جاءت مباشرة بعد الحديث عن إجراءات الأمن التى شهدتها السنوات الثلاث الأولى من حكمه (الملوك الأول ٢) انظر أيضاً :

Malamat, JNES,22 (1963), II.

(٢٣) قارن : Ibid, I ff

(٢٤) Blackman, JEA, 27 (1941), Pl. 10 — 11, P. 89, n. 40 — 42.

(٢٥) M. Murray, the Osireionat Abydos (London, 1904) Pl. 21.

(٢٦) لقد تم القضاء على أسدود على الساحل فى هذا الوقت أيضاً ، قارن :

Malamat, JNES, 22 (1963), 12 and n- 49 ، وفى الداخل عثر على جعل لسيامون فى تل فرعه (ربما شاروهين القديمة) قارن :

Ibid , 12 and n. 43.

(٢٧) Ibin. 13, 16 f.

(٢٨) Ibid. 17.

(٢٩) ومن المهم فى هـذا المجال أن نذكر الممتلـكات الواسعة التى كانت تمتلـكها السيدات ذوات الشأن فى المملكة فى الأسرة الواحدة والعشرين إما بالوراثة أو بالشراء . قـارن :

Gardiner, JEA, 48 (1962),57 ff.

(٣٠) صموئيل الثانى ٥ : ١١ ، الملوك الأول ٥ .

(٣١) الملوك الأول ٩ : ١١ — ١٤ . وهناك احتمال كبير أن معاهدة سياسية اقتصادية قد عقدت بين سليمان وصور ، انظر :

F. C. Fensham, Vt, 17 (1969), 71 f.

(٣٢) Malamat, JNES, 22 (1963), Iff.

(٣٣) قارن : W. S. Smith, Interconnections in the Ancient Near East (New Haven and London, 1965).

(٣٤) إن أقدم العلاقات بين مصر وبيلوس ترجع إلى أيام سنفرو أول ملوك الأسرة الرابعة : URK, I, 235.17

(٣٥) وليس أدل على أهمية هذا الحدث من كثرة الإشارة إلى « ابنة فرعون » فى رواية سفر الملوك ، قارن : الملوك الأول : ٣ : ١ و ٧ : ٨ و ٩ : ١٦ ،

Malamat, Ba, 21 (1953), 98, n. 13; JNES, 22 (1963), 9 – 10.

كما كان هذا الزواج أيضا خروجا عن القاعدة التى سادت أيام الدولة الحديثة حيث كان زواج أميرة مصرية من ملك أجنبى أمراً مستبعداً . (Ibid,)

(٣٦) Eissfeledt, CAH, Vol. 11, Chap. 34, P. 57.

(٣٧) Ibid., P. 49.

(٣٨) Ibid,, P.6I.

(٣٩) لقد عرف المصريون هذه القبيلة منذ الأسرة الثامنة عشرة : قارن :

W. C. Hayes, JNES, 10 (1951), 50 fig. 10; 130: Hölscher, Libyer and Aegypter, 42 f., 60 f.

(٤٠) Cerny, "Egypt from the Death of Ramesses 111 to the End of the Twenty-first Dynasty" CAH (1965), 11, 13 ff,

(٤١) Yoyotte, Mélanges Maspero (1961), 1,4,122 f.

(٤٢) Von Beckerath, JARCE,5 (1966), 44,49 ; 1.3.

(٤٣) Gauthier, Livre des rois d'Egypte (Cairo,1914),111, 321 ff.

(٤٤) Gauthier, ASAE, 18 (1919), 246 - 50.

(٤٥) الملوك الأول ١١ : ٢٦ — ٤٠ .

(٤٦) الملوك الأول ١٢ .

(٤٧) J. Bright, A History of Israel (Philadelphia,1959), 213: Drioton-Vandier, L'Egypte 4, 671.

(٤٨) BAR, IV, Sec. 724, A.

(٤٩) الملوك الأول ١٤ : ٢٥ - ٢٦ .

(٥٠) أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٣ — ٤ .

(٥١) إن وجود عناصر ليبية ليس أمراً مستغربا فى جنود شوشنق الذى ينتمى هو أصلا إليهم .

(٥٢) إن هذه الكلمة ترادف الكلمة المصرية Tjk (tn) ، انظر : R. A. Caminos, Late-Egyptian Miscellanies. 1954, 176 – 7.

وبناء على المعلومات المعروفة لدينا من القرنين الثالث عشر والثانى عشر قبل الميلاد يبدو واضحا أن Tjk (tn) عبارة عن قوات ليبية من واحات الصحراء الغربية .

(٥٣) لقد كانت الجيوش المصرية على مر العصور تضم عناصر نوبية ويحتمل أن هؤلاء النوبيين الذين اشتركوا فى حملة شوشنق أسرى حرب جاء بهم بعد حملته ضد النوبة .

(٥٤) عن حملة شوشنق فى فلسطين وتحديد الأماكن التى مرت بها ، انظر : Y. Aharoni, LB, 283 - 90: Mazar, VT 4 (1957), 57 – 66,

(٥٥) انظر : حوليات تحتمس الثالث (URK. IV.648.6) ، وربما تكون عند تل يمه (LB,140 - 1,n 48).

(٥٦) قارن ، يشوع ١٩ : ٦ .

(٥٧) من المحتمل أن تكون فونيس ، خربة فوطيس (وموقعها القديم عند تل العصيفر) حوالى خمس عشرة كيلو متراً شمال غرب بير سبع : (LB, 228 and n. 17).

(٥٨) يحتمل أن تكون حصر — جدة فى يهوذا أوسيمون فى الاقب الغربية (يشوع ١٥ : ٢٧) .

ثم انظر : Mazar, VT,4 (1957), 65.

(٥٩) قارن ، تفوح بالقرب من حبرون (الأخبار الأول ٢ : ٤٣) ، LB, 289.

(٦٠) بالقرب من حبرون (يشوع ١٥ : ٥٩) .

(٦١) يحتمل أن تكون أشنه التى تقع فى يهوذا (يشوع ١٥ : ٣٣و٤٣) .

(٦٢) فى أغلب الظن أنها تل الأراد .

(٦٣) ربما تكون تل المشلح القريبة من تل الأراد .
(LB, 289, cf. 185).

(٦٤) قارن ، أخبار الأيام الأول ٤ : ١١ ، LB. 289

(٦٥) تطابق هذه المدينة عصام (يشوع ١٥ : ٢٩) التى تقوم مكانها الآن أم العاظام التى تقع على بعد ١٠ كم جنوب أورويز .
(LB, 288.)

(٦٦) يمكن مقارنتها ببير حمثيبل (الأخبار الأول ٢ ، ٩ و LB,289) وفى بعض الأحيان تقارن ببيرز خما فى النقب .

(٦٧) لقد عزى البعض الدمار الذى لحق بالمستوى الأول فى أزيون — جبر الى شوشنق ، انظر :
Mazar VT, 4 (1957), 65, LB, 288, n, 18.

(٦٨) يحتمل أن تكون بيت شمس ، قارن : LB 286 - 7.

(٦٩) أخبار الأيام الثانى ١٢ : ٥ — ٨ .

(٧٠) تقع فى ممتلكات بنيامين على مقربة من بيثل .

(٧١) قارن الملوك الأول ١٢ : ٢٥ .

(٧٢) خربة تل الدمية الحالية .

(٧٣) تقع كل هذه المدن فى وادى لزدرايلون ويزريل .

(٧٤) Olmstead, History of Palestine and Syria, 1931,355, fig, 142,

(٧٥) نفس هذا المكان ذكر فى حوليات تحتمس الثالث :
(URK, IV, 650 : 6) ، ومكانها الآن خربة عرا (LB,46).

(٧٦) يحتمل أن تكون خربة بوريم الحالية (LB,46,288) .

(٧٧) تسمى الآن جت (LB,163).

(٧٨) قد ذكرها أيضاً تحتمس الثالث ويحتمل أن يكون مكانها الآن خربة يما (تل ياهام) .
انظر : LB,141.

(٧٩) مكانها الآن خربة شويكة الرأس . (LB, 45—6)

(٨٠) تقع جنوب رفح ، قارن : LB,290, and n 23,24

(٨١) G.E. Wright, Biblical Archaeology, 1957,149.

(٨٢) G. E. Wright, Journal of Biblical Literature, 75 (1956). 216.

(٨٣) Wright, Biclical Archaeology, 1957, 148—9.

(٨٤) مثل مجدو ، انظر : D. W. Thomas (ed)., Archaeology & Old. Testament Study, 1967, 323.

وشكم ، المرجع السابق ص ٣٦٦ .

(٨٥) Wright, Biblical Archaeology; 1957,148–9.

(٨٦) J.Bright, A History of Israel. 1960,214.

(٨٧) قارن الملوك الأول ١٤ : ١٧ .

(٨٨) الملوك الأول ١٢ : ٢٥ .

(٨٩) الملوك الأول ١٢ : ٢٥ .

(٩٠) قارن أخبار الأيام الثانى ١١ : ٥ — ١٢ ، Lb.290–3, Map.25,

(٩١) Bright, A History of Israel, 213 f., Drioton et Vandier, L'Egypte, 4 thed , 525.

(٩٢) Cf. Hall, The Ancient History of the Near East (11 th. ed., London, 1950), 439.

وإن القول بأنها « لم تكن مجرد غارة بل احتلال بالقوة » ، انظر :
Wright, Bihlical Archaeology (2 nd. ed., Philadelphia, 1962). 150. لا يؤيده أى دليل .

(٩٣) Ibid , 149 f.

(٩٤) G.R. Hughes, Reliefs and Inscriptions at Karnak, Vol. 111. The Bubastite portal (Chicago, 1954), PI.2; Barguet, Temple d'Amon–rê à Karnak, 1962, 122 - 3.

(٩٥) حيث كان كبار كهنة آمون يمارسون سلطات دينية كبيرة . وقد استمرت العلاقات بين شطرى المملكة أيام الأسرة الثانيـــة والعشرين تتأرجح بين الصداقة أحياناً والعداء أحيانا أخرى ، انظر :
Gardiner. Egypt of the Pharaohs, 325.

(٩٦) أخبار الأيام الثانى ١٤ : ١٩ — ١٥ .

(٩٧) لقد أعقب انتصار آسا دعوة النبى عزريا للقيام بالإصلاحات وقد كان هذا فى السنة الخامسة عشرة من حكم آسا (أخبار الأيام الثانى ١٥ : ١ — ١٠) .

(٩٨) هنـاك احتمال فى أن الحمـــلة التى أرسلها شوشنق الأول إلى النوبة (BAR,IV,Sec.723) قد أحضرت معها فرقة نوبية انضمت الى الجيش المصرى (قارن ، أخبا ر الأيام الثانى ١٢ : ٣) .

(٩٩) Hughes, Reliefs and Inscriptions at Karnak, V.lo 111, The Bubastite Portal, PI.I3.

(١٠٠) G. A. Reisner and others, Harvard Excavations et Samaria, 1914. 1, pp. 132, 243, 247, 334 : 11, pls. 546, 569.

(١٠١) H. Gauthier. Le livre des rois d'Égypte,3, p. 250; cf. Gardiner, Egypte of the Pharaohs, P. 331.

(١٠٢) لقـد عثر على أمثال هـذه الأوانى فى قصور ملوك أوجاريت فى القرنين ١٤ و١٣ ق م. مهداة من اخناتون وحرمحب ورمسيس الثانى ، قارن :

C.F.A. Schaefer, Syria, 31 (1934),41.

(١٠٣) G. Ronx, Ancient Iraq: 1966,261—7I.

(١٠٤) ANET, 278—9.

(١٠٥) الملوك الثانى ٧ : ٦ .

(١٠٦) ANET,281 ، وتذكرنا هـذه الهدية بهدية رمسيس الحـادى عشر لآشور — بل — كالا والتى كانت عبارة عن تمساح وقرد كبير :

A. R. Millard, IRAQ, 32 (1970): 168-9.

(١٠٧) Y. Ahnroni. BASOR, 184 (1966), 13 ff.

(١٠٨) Aharoni, BA,31 (1968). 24.

(١٠٩) Montet, Byblos et l'Egypte, P. 53, Fig. 17; 56 Fig. 18; pl.36—63.

(١١٠) Hughes, Bubastite portal, pl.22, lines 18-19.

(١١١) الملوك الثانى ١٧ : ٤ .

(١١٢) A,W.F. Saggs, The Greatness that was Babylon, P. 110.

(١١٣) Ibid. P. 111.

(١١٤) على سبيل المثال : انظر . ANET, 285 and n.3

(١١٥) Cf. Ramadan Sayed, VT, 17 (1967), 116-18.

(١١٦) على سبيل المثال شيشاك (شوشنق الأول) ، تيرها كاه (طاهرقا) .

(١١٧) انظر : H. Goedicke, BASOR. 17 (1963), 64—6

(١١٨) أشعيا ١٩ : ١١ .

(١١٩) قارن ، فى الدولة الحديثة الإسم « سيس » كاختصار معروف لإسم رمسيس الثانى (ANET, 477 f.) و « موس » كاختصار لإسم الملك أمنميسيس ، قارن :
Cerny, JEA, 15 (1929), 255.

(١٢٠) Cf. ANET, 285.

(١٢١) Cf. ANET, 286.

(١٢٢) Ibid.

(١٢٣) Cf. ANET, 287–88.

(١٢٤) Cf. Tadmor, BA, 29 (1966), 94-5,Fig5. 9-11

(١٢٥) إن الملك شاباكو هو المقصود بفرعون هنا وليس بعنخى الذى لم يحكم من منف أبداً كما فصل الأول . كما أن الإشارة إلى أن مصر والنوبة تخضعان لحاكم واحد لايجعلنا نفكر فى أى ملك من ملوك هذا العصر سوى أحد ملوك الأسرة الخامسة والعشرين (تفنخت وباكنرانف لم يحكموا أو ادعوا أنهم حكموا النوبة) .

(١٢٦) See, PM, VII,397.

(١٢٧) من صيدا حتى عكا معينا لولى بدلا من أتوبعل الثانى كملك على صور وصيدا (See, ANET,287,288).

(١٢٨) قد تكون تل الشالاف التى افقم على بعد ١١٠ ميل شمال شرق أشدود .
قارن : Mazar,IEJ,10(1960),72 - 7

(١٢٩) Cf. ANET,287 - 288.

(١٣٠) أشعيا ٣٦ : ٢ ، الملوك الثانى ١٨ : ١٧ .

(١٣١) ANET, 288.

(١٣٢) قارن ، الملوك الثانى ١٨ : ١٤ — ١٦ .

(١٣٣) ANET, 286.

(١٣٤) كما وعد أشعيا (قارن ، أشعيا ٣٧ : ٣٣ — ٤٥) .

(١٣٥) قارن ، أشعيا : ٣٧ : ٣٦ .

(١٣٦) ANET, 290,302 - 303.

(١٣٧) Gardiner, Egypt of Pharaohs, P.353.

(١٣٨) انظر ، خالد الدسوقى ، الجالية اليهودية فى اسـوان فى القرن الخامس ق . م . ، ص ٦ .

(١٣٩) D. J. Wiseman, Chronicles of Chaldaean Kings (626 - 556 B. C) in the British Museum, 1956, P. 19 ff.

(١٤٠) الملوك الثانى ٢٣ : ٢٩ .

(١٤١) Cf. Wiseman, Chronicles, 23 ff., 66 ff.

(١٤٢) الملوك الثانى ٢٤ : أو ما بعدها .

(١٤٣) الملوك الثانى ٢٤ : ١٠ — ١٧ .

(١٤٤) قارن ، حزقيال ١٧ : ١١ — ٢١ ، أرميا ٣٧ : ٥ وما بعدها .

(١٤٥) Gardiner, Egypt of the Pharaohs, P. 360.

(١٤٦) Saggs, The Greatness that was Bobylon. P. 143.

(١٤٧) الملوك الثانى ٢٥ : ٢٢ — ٢٦ .

(١٤٨) حزقيال ٢٩ : ١٩ — ٢١ ، ANET, 308